شواذ الخلائق البشرية

كتب الدكتور ارثر كيث احد اساتذة كلية الجراحة الملكية بانكلترا فصلاً في هذا الموضوع وصف فيه الشواذ البشرية التي في المتحف المتري . وفي هذا المتحف مجموعة كبيرة لانواع الشواذ التي تطرأ على الخلائق البشرية وكلها محفوظة ومصونة من البلى بالطرق الطبية المعروفة الآن . وقد شرحها هذا الاستاذ كلها شرحاً كافياً وعللها تعليلاً علمياً وافياً وردّ جميع اسباب المسوخ البشرية الى اتصال التوأمين في اوائل عهد تكوين جنينيهما وتوقف نمو احدهما كما انهُ ردّ ايضاً اسباب جميع العاهات الى سبب واحد وهو توقف بعض الاعضاء عن النمو منذ عهد نمو الجنين قال

في هذه المجموعة نموذجان لخمسة اطفال من بطن واحد في ولادة واحدة . وكلهم تامو الخلقة ولكنهم صغار البدن . اما ولادة ثلاثة اطفال من بطن واحد فليست امراً نادراً جداً فقد اثبتت الاحصاءات ان نسبة الولادات الثلاثية الى سائر الولادات كنسبة واحد الى سبعة آلاف . واما ولادة التوأمين فأمر مألوف جداً . ففي ارلندا يُولد توأمان في واحدة من كل ٧٢ ولادة . وفي انكلترا في واحدة من كل ٧٥ وفي فرنسا واحدة من كل مئة ولادة

اما في اشباه الانسان كالغورلا والشمبانزي والاورانوتان وفي القردة عموماً فتندر ولادة التوأمين وهذا يعد شذوذاً . وسترى فيما يلي ان جميع المسوخ البشرية انما هي نتيجة انتاج توأمين غير تام

من امثلة هذا المتحف ما يحقق وجود صنفين من التوائم . في الصنف الواحد يُرى كلٌّ من الجنينين مغلفاً بغلافه الخاص ولهُ حبل سري خاص يجري فيهِ الدم بينهُ وبين المشيمة وفي الصنف الآخر يكون الجنينان مغلفين معاً بغلاف واحد ولكل منهما حبل سري ولكن الحبلين ينتهيان في مشيمة واحدة

والذي نعتقدهُ ان هذين الصنفين من التوائم ينشآن على طريقتين مختلفتين . فالصنف الاول يتكوّن من بويضتين تلقحت كلٌّ منهما وحدها . والصنف الثاني يتكون من بويضة واحدة تجزأت في اول عهدها الى جنينين . ففي الحالة الاولى يمكن ان يكون الجنينان ذكراً وانثى ولا يتشابهان اكثر من تشابه الاخوين . وفي الحالة الثانية يكونان اما ذكرين او انثيين ولكنهما يتشابهان كل التشابه حتى ان مرضعهما تكاد لا تميز احدهما من الآخر

والمسوخ البشرية انما تنشأ من تكوّن الجنينين المتشابهين كل التشابه . فاذا فحصنا بيضة

الدجاجة التي اعدت اعداداً خاصاً لمشاهدة الجنين بعد حضانة ٢٥ ساعة استطعنا ان نفهم كيفية حدوث ذلك . فجنين الدجاجة ينشأ اولاً على شكل صحيفة منتشرة على المح . وتحت المكرسكوب يُرى الطرف الخلفي من هذا الجنين آخذاً بالانقسام الى اثنين ولكن طرف الرأس يرى انهُ رأس جنين واحد فقط

وهنا نموذج آخر كذلك يظهر فيهِ انقسام كل من الطرفين او تضاعفهما الامر الذي يدل على نشوء فرخين توأمين متصلي البدن . ومما تقدم يمكننا ان نفهم كيفية تكوّن النسوخ البشرية التي في مجموعة المتحف المتنزي

فالنماذج التي في القسم الاول من هذا المتحف تدل على الشذوذ في داخل الجسم كانقلاب ترتيب الاعضاء الحيوية الداخلية من اليمين الى اليسار وبالعكس كأنك ترى داخل الجسم في مرآة . ومع ان هذا الشذوذ غير قليل الحوادث فان ما قيل في تعليله حتى الآن لا يكفي للاقناع

اما سلسلة النماذج التي تلي ما تقدم وصفهُ فانما هي مجموعة مواليد بشرية لا يستطيع ان يعرف انها اطفال الا الخبير لانها تتراءى كصرّة ملفوفة في جلد بشري مجعّد . فهي ابدان بلا رؤوس وانما فيها فروع تمثل الايدي والارجل . وقد شُقَّ بعضها فظهر محشوّاً على السلسلة الفقارية وعلى معدة وكبد وامعاء ولكن ليس فيها ادمغة . والقلب الذي فيها غير تامّ فلا يستطيع دفع الدم . وقد تحققنا ان جميع هذه الاجنّة لم تولد وحدها بل كان كلٌّ منها احد توأمين ثانيهما طفل كامل . وكانا متصلين تقريباً ولم يكن بينهما اتصال الاَّ بوعيتها في المشيمة . فاحدهما كان عالة على الآخر اي ان اضعفهما لم يكن يعتمد على دوران الدموية بل على الدم الذي كان يدور في جسم الجنين الآخر القوي ولهذا اصبح قلب الجنين الضعيف عديم الحركة عاجزاً عن العمل فلما ولد التوأمان وانقطع الحبل السري انقطع الدم عن الجنين الضعيف فلم يعش بعد الولادة

والنسوخ التي نُرى في سلسلة النماذج التالية كما تقدم وصفهُ انما هي نتيجة انفصال التوأمين غير التام . ففي بعضها ترى الى التوأم جسماً واحداً واسفلهُ جسمين اي ان لهُ رأساً واحداً واربع ارجل . وفي البعض الآخر ترى العكس اي ان القسم الاعلى منهُ مزدوج والاسفل مفرد فهو ذو رأسين واربع ايدٍ ورجلين فقط . وفي بعض آخر ترى الانفصال تاماً تقريباً وانما يتصل البدنان في احدى النقط . وفي بعض النسوخ كالتوأمين السياميين يتصل التوأمان تحت عظم القص في اسفل الصدر . والتوأمان المتصلان هكذا يمكن ان يعيشا معاً ويمكن ان

يعيش احدهما ويموت الآخر . وفي هذه الحالة يستطيع الجرّاح الماهر ان يقطع الصلة بينهما ولكن النجاح غير مضمون

وقد وصف الدكتور بالانتين في كتابه بالتوائم الجنين حادثة حدثت في سكوتلاندا في عهد الملك جمس الرابع اي منذ اربع مئة سنة فاكثر وهي انهُ ولد توأمان متصلان من الصدر فما فوق ظهراً لظهر ومتحدان من تحاويكانهما شخص واحد . وعاش هذان التوأمان وبرعا في الموسيقى وكانا يتكلمان لغات كثيرة وقد عاشا ٢٨ سنة . ولما مات احدهما عزّوا الآخر فقال : «كيف اتعزّى وقد اصبح نصفي حملاً على ظهري وكان شريكي في الغناء والعزف . فاسأل الله ان ينقذني من هذه الحياة المرّة» . ولا شبهة في انهُ لم يعش طويلاً بعد ذلك

وفي التاريخ رواية ترجع الى ١٢ قرنًا وهي ان الجنين وُلدا في «كنت» متصلتين من صدرهما الى اسفل جنبًا الى جنب . وفي المتحف الهنتري نماذج تشابه ذينك الاخوين وهاتين الاختين فضلاً عن نماذج اخرى لحالات اخرى . فقد يتصل التوأمان جنبًا الى جنب او وجهًا الى وجه . ونقطة الاتصال اما في الرأس او في الاقسام السفلى . وانواع الاتصال تتراوح بين اتصال سطحي وبين امتزاج تام بحيث يصبح الاثنان واحداً عند مكان الاتصال . وهناك نموذج واحد يتصل فيهِ الوجهان معًا فيتراءيان كانهما وجهان متصلان ولكن عند التحقيق ترى انهما يمتزجان فايمنهما للشخص الواحد وايسرهما للشخص الآخر ولما كان النصفان متشابهين تمام التشابه تراهما كانهما وجه واحد لشخص واحد والحقيقة انهما نصفا وجهين لشخصين

فكل من النموذج المار ذكرها انما هو توأمان متساويان في الحجم تمام المساواة . وهنا سلسلة نماذج اخرى غريبة في بابها يصعب تعليلها لان احد التوأمين للمتحيلين فرع كائنة ملحق بالتوأم الآخر التام الخلقة والمستوي النمو . ومن امثلة ذلك الشخص الصيني المعروف ولهُ شكل يشبههُ في هذا المتحف فترى تحت عظمة القص منهُ اي فوق البطن جسماً ذا جذع ورجلين وشيئين متدليين منهُ كالذراعين . وليس مكان الرأس الاَّ اثر طفيف

ولو ان احد التوأمين السياميين توقف عن النمو وهو جنين في اوائل عهد تكوّنهِ وبقي متكلاً على التوأم الآخر في دورتهِ الدموية لولد ملحقًا للآخر كما رأينا في ملحق التوأم الصيني المار ذكرهُ . وعند نحو عامين رأى المؤلف هنديًّا على هذا الشكل . وكانت اطراف البدن الملحق بهِ بلا حركة ولا احساس

وقد يكون القسم السفلي من الجنين منقسمًا ولكل قسم منهُ رجلان . وفي كثير من هذه

الاحوال يتم احد التوأمين ويبقى الآخر بلا نمو حتى متى يبلغ الشخص كانت له رجلان صغيرتان زائدتان من ورائه . وفي بعض الاحوال تمر احدى الزائدتين فيخرج كأنه ذو ثلاث ارجل . وفي حالة انقسام التوأم الاسفل يمكن ان يكون المستقيم مزدوجاً

وفي الشخص الصيني المذكور آنفاً هذا الرأس لم يكن له الا اثر . ولكن في النموذج الذي عندنا الممثل « الغلام البنغالي » نرى الامر على عكس ذلك اي ان الرأس ظاهر والجسم مختفٍ وقد عاش الغلام عدة سنين . وكان الرأس الملحق ناقصاً في بدنه من تحفه وعيناه تتحركان

والى جانب هذا النموذج نموذج آخر يمثل تماماً طبيعة الرأس الاضافي في الغلام البنغالي . فترى فيه توأمين تكوّنا تكوّناً تاماً غير ان رأسيهما التحما عند اعلاهما . ومن ذلك يُفهم انهُ لو انقطعت الدورة الدموية عن احد الجنينين لبقي الدم يرد الى رأسيه من اوعية رأس الجنين الآخر وهكذا يستمر الرأس ينمو في حين ان البدن يضمر ويضمحل

ويستدل من ذلك ان الجسم البشري يكون ليناً جداً في مدة الحمل ويحتمل ان يتكيف على صور مختلفة . فيمكن انتاج مسوخ الفراخ بثقب البيوض في درجة حرارة اعلى من الدرجة المعتادة لنقفها . واذا وضعت بيوض توتيا البحر (الرتسا) او سمك الطرن في محاول بعض الاملاح نقفت عن مسوخ مختلفة . واما الاعتقاد السائر وهو ان المسوخ هي نتيجة تأثير عقلي في الحامل زمن الحمل كالخوف ونحوه فلم يستطع علماء الطب الوقوف على دليل يؤيدهُ . ولا ندري كيف يمكن ان يبلغ هذا التأثير العقلي الى جنين قد تكوّنت كل اعضائه . ثم اننا نرى ان الحمى وبعض الطوارئ التي تغير حالة دم الام او حالة الرحم يمكن ان تؤثر في النمو الطبيعي وتسبب انتاج المسوخ . وتكثر الشذوذ الخلقية في بعض العيال ولاسيما العيال العصبية المزاج

والآن ننتقل الى وصف نموذجين كانا حديث الناس حين ظهرا منذ نحو قرن وهما متشابهان تمام التشابه ولهذا اختزنا بوصف احدهما . وهو ان فتى مات في السادسة عشرة من عمره بسبب انتفاخ كان في احد بطنيه . وشرّح الاطباء جسدهُ فوجدوا في تجويف ذلك الانتفاخ طفلاً يشبه بالشكل والحجم الطفل الملحق بصدر الشخص الصيني المار ذكرهُ اي انهُ بدن ذو رجلين ويدين ولكن بلا رأس . فهو اذاً احد توأمين ولكنهُ كان في اول عهد نموهما غالباً في بطن الآخر ولهذا تعرقل سير نموه وكان ذلك علة موت الآخر

وهناك نماذج اخرى تمثل حالات مختلفة من نوع هذه الحالة غير انها تختلف عنها كثيراً . وهي انتفاخات او بالحري اكياس فارغة يستخرجها الجراحون . ويمكن ان توجد في كل جزء

من الجسم قريباً . ولكنها توجد على التقارب في الخصيتين . وهذه الاكياس مبطَّنة من الداخل بمثل الجلد ولهذا تسمَّى الانتفاخات او الاكياس الجلدية . ويغلب ان تشتمل على زغب او كتل شعر ولا يندر ان يوجد فيها احياناً شبه فك وعليه الاسنان مرصوصة على اختلاف انواعها . فليس من السهل تعليل نشوء هذه الاكياس الغريبة ولكن يُحتمل انها نشأت في الاصل من جرثومة تناسلية وهذه الجرثومة لو كانت في حالة طبيعية لامكن لها ان تكون بيضة . ومعلوم ان بيوض الحيوانات غير الفقارية كالدوتيا يمكن ان تنقسم الى جنينين بعض المحمولات الكيماوية فيحتمل اذاً ان تلك الاكياس الجلدية تنشأ من جراثيم تناسلية توجد في احوال غير طبيعية وتكون تحت تأثير عوامل شاذة

وقد اثبت علماء الاجنة ان الخويصلات التي يتولد منها نسل الجنين تكون مستقلة ومنفصلة عن الخويصلات التي يتكوَّن منها الجنين أمَّة لاول عهد تكوُّنه . وبعضها لا يصل الى خصيتي الجنين الذكر او مبيضي الجنين الانثى بل يبقى متفرقاً في النسجة جميعه . فيمكن ان تكون « الاكياس الجلدية » قد نشأت من هذه الخويصلات . ولكن لا برهان قاطع على ذلك حتى الآن

وفي قسم آخر من المتحف المتقدم عدة نماذج لانواع الشواذ الاخرى التي لا تبتسم كثيراً كالسحن القبيحة التي بعضها يشابه سحنة الشمدع والروس التي تفلطحت جماجمها والظهور التي ظهر فيها الحبل الشوكي كأنهُ قدَّة مفسوقة بالظهر . وانما بين تلك النماذج اثنان عجيبان يلذ وصفهما للقارئ احدهما ذو عينين واحدة في اسفل منتصف الجبهة نشأت عن اندغام العينين معاً . ولكي يفهم تعليل شذوذها يجب الالتفات الى سلسلة نماذج اخرى اتحدت في كل منها الرجلان حتى اصبحتا رجلاً واحدة . وفي الاجنة ترى الساقين ممتزجين في مؤخرهما مدة حياة الجنين فانهما تظهران في اول الأمر كزعنفتين مستطيلتين في ذيل الجسم الجنيني . فمتى حدث ما اوقف نمو مؤخر الجنين تظهرت بزعنفتا الرجلين متحاذيتين في مكانهما الاصلي . وقد يمكن ان يتوقف النمو في مقدم الجنين . واقصى هذا المقدم موحيث تنفصل العينان ويتكون الانف . فاذا توقف النمو في الوجه لا تنفصل بزعنفتا العينين بل تندغمان في اوائل عهد نمو الجنين وتستمران متحدتين . وقد يتحد مقدَّما نصفي الدماغ الى درجة معينة وهذا نرى ان مقدم الجسم الجنيني ومؤخرهُ يتوقفان عن النمو فتتحد العينان في الحالة الاولى والساقان في الحالة الثانية

في حالة اتحاد العينين ينشأ على الغالب فوق العين المزدوجة انفٌ يشبه خرطوم الفيل

بعض الشبه وهو يشبه آثار الاجزاء التي كان يجب ان يتكوّن منها الانف . فلا نقدر ان نفترض ان هذه الحالة كانت طبيعية في اجداد الجنس البشري

اما الحالة الثانية التي نلفت اليها نظر القارئ فتختص بالدفن اي بالفك الاسفل . فقد نرى وجهاً بشرياً مشوّهاً بسبب عدم نمو الفك الاسفل حتى ان ما تحت الشفة السفلى ينحدر بسطح مستقيم تقريباً الى العنق كأن لا ذقن هناك

وفي المتحف المختبري نماذج شديدة الوضوح لهذا التشوه ويصل التشوه فيها الى الاذنين فترى اسفلها منجذباً نحو العنق ايضاً وذلك لتوقف النمو في القسم الاسفل من الوجه كلّه . ويحتمل ان تكون هذه الحالة من نوع التقهقر لان الفك الاسفل في الاسماك الاولية هو من هذا النوع . ومما هو جدير بالملاحظة ان هذا التشوه يحدث في بعض الحيوانات الداجنة ولاسيما الخراف

ومن العاهات ما يشوّه البدن منذ الولادة . ان الاطراف اي (الرجلين واليدين) تظهر كتشوات زائدة في جوانب الجذع في آخر الاسبوع الثالث من تكوّن الجنين حينما يكون حجمهُ نحو عُشر البوصة . وبعد اسبوع تشرع تنفصل عقد تلك الاطراف اي اجزاء العضدين والساعدين والكتفين والفخذين والساقين والقدمين . ولكن براعم الرجلين واليدين تشابهان كل التشابه في اول الامر . فاصابع اليدين والرجلين غائصة في نسيج كنسيج الكف الاوز والبط ويغلب ان يطول امد هذا النسيج وفي هذه الحالة يمكن ان لا تتكوّن بعض عقد الاصابع . وهذه الشواذ قد تكون وراثية فتظهر حيناً بعد حين في مواليد السلالة الواحدة

وقد يمكن ان يتوقف نمو بعض الاطراف في عهد نمو الجنين وجل ما يظهر منها بعد ذلك نواتئ في الجلد . ومن حسن الحظ ان هذه العاهات نادرة جداً

ومن جملة الشواذ ظهور اصبع سادسة في جانب الخنصر او الابهام في اليد او القدم (وهو المعروف بالعنش) . والمحتمل ان تشوه اصابع سادسة وراثي يظهر حيناً بعد آخر في السلالة . واذا صح هذا الاحتمال فان هذه الحالة تدل على تاريخ قديم جداً في تكيف رقي الاكف والاقدام لان جميع الحيوانات الفقارية لا يزيد عدد اصابعها عن الخمسة . والاغلب احتمالاً ان الاصبع السادسة في الانسان ناجمة عن انقسام براعم الخنصر او الابهام الى اثنتين في اوائل عهد تكوّنهما . وقد رأينا في ما تقدم امكان انقسام جانب من الجنين (مقدّمه او

(١) [المختطف] ولدت صفاء كذلك في دلك العاصمة فصورناه ووصفناه في المختطف

مؤخرة الجسم بخلاف الانسان فانه يختص من جانبه وخصي واحد فقط من جانب آخر فلا غرابة اذا كانت الاصبع تنتسب الى الاثنين على هذا الاعتبار

وقبل ان نختم هذا الفصل نلتفت الى نوع من الشذوذ الخلقي الذي يمثل لنا هذه الحقيقة وهي انهُ حيثما يطرأ على الانسان تقهقر في رقيهِ بدل هذا التقهقر على درجة قديمة جدًّا من درجات الرقي وهذا الشذوذ الذي نلفت اليهِ نظر القارئ على الخصوص انما هو بروز عظمي في العضد على بعد قليل من المرفق وهو في زاحظر من خمسين من شخصهم المشرحون . وقد اتضح لهم ان شريان العضد الناصي وعصبهُ يمران تحت ذلك البروز العظمي . وهذا البروز تراهُ في اسلاف الحيوانات الثديية الحالية وهو كثيرٌ في الزحافات وبعض انواع الكركدن وكثير من الضواري . ولكنهُ لا يوجد في الحيوانات العليا الاَّ نادرًا فكثرة وجودهِ في الانسان تدل على انهُ بقي في بعض افراد الانسان كل مدة ارتقائهِ

فوائد من اخبار القضاة

ان الذين اطلعوا على ما اقتطفناهُ من اخبار القضاة رأوا فيهِ كيف ابتدأ وضع القوانين القضائية وما دخل محاكم القضاء من الحسنات والسيئات ورغبوا الينا في الاستمرار على ذلك لانهُ بمثابة تاريخ حقيقي لنشوء القوانين القضائية ففعلنا وقد احتفظنا بلغة المؤلف على قدر الامكان

اعيد المفضَّل الى القضاء سنة ١٧٤ بعد ان عُزل عنهُ سنة ١٦٩ وكان متهمًا بانهُ لا يقضي بالعدل وقد هجاهُ بعضهم بقولهِ

اتخطب الله وارفُد واتَّئد يا مفضَّلُ	فانك عن فصل القضاء مسؤَّلُ
وانك موقوف بهِ ومحاسبٌ	فدونك فانظر كيف في الحكم تفعلُ
اني العدل ان أقصى وأخرج متعبًا	وتدخل بفضلٍ منك خصمي ويدخلُ
وتقبل منهُ سيء مغبي شهودهُ	ويبتني ليست اذا غاب تقبلُ

ولقيهُ رجل بعد ان عُزل فقال حسبك الله قضيتَ عليَّ بالباطل وفعلتَ وفعلتَ فقال لهُ المفضل لكن الذي قضينا لهُ يطيِّب الثناء . فلما اعيد الى القضاء جعل كاتبهُ فُلَيح بن القمري فتحدث الناس انهُ كان يرتشي من اقوام ليذكرهم بالعدالة فان المفضل رسم اقوامًا بالشهادة فكانوا عشرة رجال فرأى الناس ان قد أتى امرًا عظيمًا فقال فيهِ بعضهم